أولا: العمل التبشيري في أهم دول السودان الغربي .

تعود بداية الحركة التبشيرية بمنطقة السودان الغربي إلى مرحلة الكشوفات الجغرافية في نهاية القرن 15م ، كمرحلة أولى لنتواصل بعدها مع الاستعمار الأوروبي الحديث وهذه المرحلة لا يمكن فصلها عن سابقتها ،مما يجعل من المفيد التطرق إلى المرحلة الأولى و لو بإيجاز.

المرحلة الأولى : بعد أن كان النصف الغربي من القارة الإفريقية حتى القرن 15م آمنا مطمئنا لا تصل إليه أيدي الأوربيين و لقرون عديدة، حيث و قف الوجود العربي الإسلامي حائرا في وجه تلك الحملات الصليبية ،لكن هذا الأمر لم يدم طويلا ، حيث تزامن هذا الحديث مع بداية حركة الكشوفات الجغرافية ،فاستمد العديد من المستكشفين المبشرين إلهاما كبيرا من هذه الكشوفات مثل هينري الملاح الذي كان بحارا محبا للبحر حاقدا على العرب المسلمين، طامعا في ذهب إفريقيا، و كان حلمه حصر المسلمين من الشمال و الجنوب بدول مسيحية ،وبذلك فاعتبره البعض محركا أساسيا لهذه الكشوفات و ما كانت لتتم لولاه ، ومن بين أهم الدوافع التي دعت هينري الملاح للقدوم للقارة الإفريقية هي:[1]

1-رغبة الأمير هنري ملاح في التعرف على المناطق الموجودة بغرب إفريقيا و الجزر القريبة منها.

2 -رغبته في التعامل التجاري مع المسحيين الذين قد يعثر عليهم بتلك المناطق .

3-حرصه على معرفة الحدود الجنوبية للممالك الإسلامية لمحاربتها في ظروف أحسن.

4-البحث عن أمير المسيحيين لإعانته في القضاء على مسلمي المنطقة.

[1] - ادوبواهن ، إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية (1880-1935)، نضد و طبع المطبعة الكاثوليكية ، مج7،بيروت ، لبنان ،1990، ص 37.

5-رغبته في التبشير و إدخال أهالي المناطق التي يكتشفها في المسيحية ،و بذلك فقد أكد الراهب يوحنا ترسيخ في أذهان المسؤولين البرتغاليين أن أعلى تصور للكشوفات كان ينحصر في القضاء على الإسلام يجعل أحد المصادر قوته و تعويضه في احتكار التجارة الشرقية الشيء الذي لا يمثل هدفا برتغاليا ، ولكنه كان موروثا على ممثلي الثقافة المتوسطية خلال القرون السابقة،[1] و قد اتخذ البرتغاليين من منطقة غرب إفريقيا منطقة تجارية حيث كانوا يقومون ببيع الأفارقة في أوروبا و تسخيرهم للعمل في المناجم ،و نظر الأوروبيون إلى هذا الأمر نظرة دينية باعتبار أن المسيحية إنقاذا لأرواح الزنوج أما أجسادهم فتبقى في الرق ،حيث اعتبر المرسوم البابوي سنة 1455م أن غير النصارى كفارا ينبغي إذلالهم واسترقاقهم ،و بذلك نظر البرتغاليين إلى الأفارقة نظرة السيد للعبد[2].

وقد اتجهت الجهود التبشيرية إلى غرب إفريقيا في السفن الثلاث التي كانت تحمل إلى جانب المبشرين و الموظفين مجموعة من العلماء لدراسة إفريقيا ، حيث أرسلتهم جمعية الحضارة الإفريقية[3]،كما اشتركت جمعية الكنيسة التبشيرية من أجل دراسة ما تستطيع عمله لإنشاء مراكز تبشيرية لها بغرب إفريقيا، وقد ازداد هذا المجهود بعد أن انظم عدد من الجمعيات الكاثوليكية ثم بعد ذلك الجمعيات الارثوكسية و التي وصل عددها إلى أكثر من 60 جمعية تزاول نشاطها في العديد من مناطق غرب إفريقيا ،و قد اتخذت الجمعيات الكاثوليكية و الفرنسية و البلجيكية و البرتغالية الأولوية ،ولم يكن لهذه الجمعيات أثر في بداية قيامها ،و لكن بعد ذلك أخذت الجمعيات تتعاون مع الحكومات لأجل تنظيم عملها و بدأ أثرها يظهر على وجه الخصوص عندما اهتمت بعض الجمعيات التبشيرية بدراسة

[1] - أحمد بوشرب ، مجلة المؤرخ العربي ، مقالة أسباب و مراحل اكتشاف البرتغاليين للسودان الإفريقية خلال القرن 15م ع 31 ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، وزارة التضامن و السياحة ،الجزائر، 1987،ص 69.

[2] - عبد العزيز الكحلوت ،المرجع السابق ،ص 50.

[3] - **جمعيةالحضارة الإفريقية:** هي جمعية زراعية كانت تقوم بإنشاء المزارع النموذجية واستغلالها. أنظر: زاهر رياض ، استعمار إفريقيا ، المكتبة العربية ، القاهرة ، مصر ، 1965، ص 165.

اللغات الإفريقية ولاسيما لغة القبائل القوية الكبيرة العدد وذات التنظيم السياسي الراقي من أجل تسهيل عمل المبشرين الأوربيين حيث عملوا على ترجمة الكتاب المقدس .

ولاشك أن رؤية الإفريقيين للغاتهم الوطنية المكتوبة قد ساعدة على رفع الروح المعنوية في نفوسهم و إشعارهم بمكانتهم كآدميين ،كما أن هذه الجمعيات عملت على فتح أبواب لطلبة الطبقتين الفقيرة و الوسطى ، و بحكم أن مكانة المرأة كانت منحطة في إفريقيا الغربية فقد عملت هذه الجمعيات على رفع مكانتها ،و عملت في المدارس النسائية التي فتحت مجال التعليم أمامها[1] ،و شهدت هذه الفترة قدوم البعثات الألمانية بقصد المغامرة أو وجود رجال البعثات الدينية البروستانتية الذين قدموا إلى منطقة الغربية لإفريقيا مع بداية القرن17م من خلال الميناء الذي أسسه الرأسماليين أطلق عليه اسم "ميناء همبرج"و كانت هذه البعثة لتشكوا من تعر أفرادها للهلاك دون وجود أية جهة يمكن أن تقدم لهم العون باعتبار أن هذه الحملات كانت قائمة على جهود أصحابها و لم يكن للحكومة أي مجهود[2] .

ومن بين الأمثلة عن الرحالة المستكشفين الذين ساهموا في نشر النصرانية بغرب إفريقيا الرحالة (مانجو بارك Mungo Park) الذي ولد في سنة 1771م حيث كان يعمل طبيبا في إحدى السفن ،و قد تلق الدعوة من قبل أحد زملائه الإنجليز ، من أجل الذهاب إلى غرب إفريقيا من أجل البحث عن نهر النيجر،و قد قبل هذا العرض نظرا لحبه للاستطلاع و تميزه بقوة الملاحظة.

وفي عام 1795م أبحر مانجو بارك من ميناء بورسمونث الإنجليزي ووصل إلى غامبيا و قام عندها بفهم اللغة المحلية لغة المانجو[3] و كان الهدف من تعلمه هذه اللغة هو سهولة

1-زاهر رياض، المرجع السابق، ص165.

2 -شوقي عطا لله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع سابق، ص 227.

3 -**لغة المانجو**:هي لغة يتحدث بها أهل المنطقة وهي منطقة كبيرة من الداخل، وهم سود تماما رجالا و نساء. أنضر : هوارد ، أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا ، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996،ص38.

التواصل مع السكان المحليين دون اللجوء إلى مترجمين ، حيث أنه تنقل بين جميع مناطق غرب إفريقيا و صولا إلى بلدة بيزانيا[1] سنة1795 م، و منه إلى منطقة منابع نهر السنغال ثم وصل إلى بلدة سيجو[2]،و قد واصل مانجو أبحاثه فوصف في مذ كراته الأساليب التي استعملها تجار الرقيق مع عبيدهم و ذكر أيضا الأساليب التي اعتمد عليها للتقرب من سكان و إرغابهم في الدخول إلى النصرانية حيث أنه كان له دور فعال و كبير بحركة التنصير ،وقد تعرض إلى الأسر حيث تلقى معانات كبيرة من خلال تنقلاته بإفريقيا و صولا إلى ساحل غرب إفريقيا[3].

المرحلة الثانية:بالرغم من أن النشاط التنصيري قد شهد حملة واسعة أثناء الكشوفات الجغرافية خلال القرن 15م ، حيث صحب المكتشفون معهم مجموعة من الرهبان للتبشر بالنصرانية في تلك الأراضي الجديدة المكتشفة[4]، فإن الانطلاقة الكبيرة كانت مع بداية القرن 19م حيث لم يعد يقتصر التنصير على أفراد من الرجال و النساء التابعين للطوائف الرهبانية بل أصبح نشاطا جماعيا دوليا تقوم به الجمعيات و المنظمات[5]،حيث أنه بعد فرض الحكم الاستعماري على المنطقة الغربية لإفريقيا مع بداية القرن 18م ،اصطدمت

---

[1] - **بيزانيا** : بلدة تقع على نهر جامبيا . أنضر: جوز فين كام ،المرجع السابق ،ص129.

[2] - **سيجو** : بلدة تقع على نهرالنيجر . أنضر: هوارد ، المصدر السابق ، ص 110.

[3] - جوز فين كام ،المرجع نفسه ،ص ص 122-124.

[4] . حيث كان هناك بعض المستكشفين المتميزين الذين عملوا على إبراز العديد من المناطق و ركزو على المناطق التجارية مثل السودان الغربي الذي كان من الأقاليم المهمة و يسعون إلى الاحتفاظ بها ،أنظر:

Marc fournel la tripolitaine. La route du Soudan pris hallemal Aimé éditeur libraie colonial, lyon, Imp du salut public-bllom 33 rue de la République 1887, P: 03.

[5] - كرم شلبي، الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب،ط1،مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1991،ص 40.

السياسة الأوروبية الاستعمارية مع معتقدات الديانات الإفريقية التقليدية التي ينهض عليها المجتمع الإفريقي.

كان المبشرين قبل الهجوم الاستعماري هم حاملوا مشعل الثقافة الغربية ،و ظلوا كذالك حتى أوائل القرن 19م ،حيث كانوا من البداية يعبرون عن موقف متشدد اتجاه الديانة الإفريقية ، و لم يكونوا عازمين على تحويل الأفارقة إلى المسيحية فحسب بل و أيضا إلى الثقافة الغربية ،إلا أن المبشرين رغم عدم فصلهم بين الدين و الثقافة إلا أنهم جاهدوا من أجل تحديد هذا الفصل و كان المبشرين يعلمون مسيحيهم الجدد أن الحياة يمكن تقسيمها إلى مجال روحي و مجال علماني منفصلين عن بعضهم البعض و هي تعاليم تتناقض مع الأساس الجوهري للثقافة الإفريقية القائمة على و حدة الدين و الحياة.

لقد حاول التعليم التبشيري أن يهاجم كل ما يساعد على تماسك المجتمعات الإفريقية فكان المبشرون و رجال الإدارة الاستعمارية على سواء يبشرون ضد الاعتقاد في الأرواح و القوى الخارقة للطبيعة ،فدخل الطب الغربي على أيديهم و هجم رجالها على العادات الوثنية فضعف دور الأطباء و أخصائيين الأعشاب التقليدية ،و من هنا فقد تعرض النظام القديم لتهديد خطير، و جاءت محاولات الدفاع عنه و حمايته من قطاعات عديدة في المجتمع الإفريقي.[1]

و بذلك فإن الحملة الاستعمارية كانت بمثابة حملة صليبية جديدة رافق فيها دعاة التنصير جيوش الغزاة و تابعوهم عن قرب و استفادوا من رعاية السلطة الاستعمارية أو تسامحها لأداء مهمتهم في مستعمرات إفريقيا ، حتى و إن كفرت السلطات الاستعمارية بالدين في بلادها ، فأنها كانت تشعر بأن الإرساليات التنصيرية ضرورية لدعم و جودها خاصة و قد كان الإسلام كوقود للجهاد ، ضد الغزاة وركنا ركينا يلجأ إليه المسلمون

[1] - أدو بواهن، المرجع السابق ، ص38.

فيحتمون به من الغزو الثقافي حتى و لو تمكنت جيوشها من اجتياح الأرض و كسر شوكة المقاومة المادية ، تبقى معلنة حربها ضد الإسلام و الحد من انتشاره.

و لنا مثال على ذلك في السياسة التي انتهجها الاستعمار الفرنسي إزاء العلماء و المشايخ في غرب إفريقيا ،فقد فرض الرقابة المشددة على كافة أنشطتهم و حاول إخضاع عملهم التربوي لرخص خاصة لا تسلمها الإدارة الاستعمارية إلا لمن تثق فيه ، و منـــع حركاتهم و تنقلهم من مدينة إلى أخرى أو من قرية إلى قرية إلا بتصريح مرور خاص و سد أمامهم و أمام غيرهم من المسلمين سبل السفر إلى الحج خوفا من اتصالهم بإخوانهم.

وهكذا كان الطابع الصليبي للحملات الاستعمارية واضحا رغم محاولات تمويهه ،و كانت جيوش الاحتلال تمهد السبيل تلقائيا للإرساليات التنصيرية ، حيث يقول آدم عبد الله الألوري في هذا الشأن :"[1] إن النصرانية أقبلت إلى نيجيريا بصحبة الاستعمار،و أصبحت نيجيريا في أقل من قرن و نصف تحمل شارات النصرانية في الشوارع و الأسواق و البيوت،في محلات و وسائل النقل ودور العلاج و التعليم و مكاتب الحكومة... ".

و انتشرت الإرساليات الكاثوليكية في كل من السنغال ،و توجه البروتستانت إلى السيراليون و ساحل الذهب (غانا) و نيجيريا و كان من دعاة التنصير الأوائل أمريكيون و إنجليز و ألمان و سويسريون.[2]

ومن الدول التي شهدت الحركة التنصيرية ليبيريا وذلك بعد نزول أول بعثة بروتستانتية من مطلع القرن 19م و التي تكونت من خليط من المنصرين البيض و عدد من القساوسة الزنوج الذين يجيدون الإنجليزية،أما البعثة الثانية هي هيئة بال السويسرية التي نزلت في ساحل الذهب (غانا) ، حيث ارتكزت دعوتها بين قبائل فانتي Fanti وحققت نجاحا كبيرا

[1] -نقلا عن: الخليل النحوي ،إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان ،1993، ص101.

2 - الخليل النحوي، المرجع نفسه، ص ص 100-101.

عوضها الخسائر الفادحة التي تكبدها أندريارين رئيس البعثة ، في محاولاته المخفقة المتكررة بين قبائل الأشنتي التابعة لساحل العاج التي و صلت في عنادها و رفضها لأي و جود نصراني ،إلى حد أن احتجزت قسيسين رهينة حتى جلاء البعثة عن أرضي الأشانتي و تحقق لها ما أرادت ،فلما أتت قوات الاحتلال الفرنسي و سيطرة على أملاك الأشانتي و أراضيهم عام 1815 م كانت بعثة الميثوديست هي أسبق بعثات التنصير إلى هذه البلاد ، حيث تم إعداد عدد من القس الزنوج من أبناء القبيلة لممارسة الدعوة بينهم ، كما أسست الكنيسة المحلية المستقلة الخاصة بالمتنصرين الزنوج التابعة لطائفة البريسبيتريان النصرانية، أما البعثة الثالثة فقد نزلت في سرا ليون التي كانت تابعة لجمعية التنصير الكنسي، و بلغت من النشاط مستوى كبير و حول سيراليون مركزا لكل البعثات التنصيرية التي تعمل في غرب إفريقيا ، أما جمعية ليون التي أسسها القس الثري **بربزيليك** عـــــام 1856م فكان أول نشاط تنصيري لها في غرب إفريقيا عام1853 بمدينة فريتون على ساحل سيراليون لكنه لم يبقى على أرض هذه المدينة أكثر من 9 أشهر حيث أصابته الحمى الصفراء ثم مات بعدها مباشرة.[1]

[1] - أبو سلام أحمد عبد الله ،تاريخ النصرانية ،الموقع الالكتروني: www.ar.wikipedia.org

الحركة التبشيرية في نيجيريا:

تعتبر نيجيريا أول المستهدفة باعتبارها من أكبر البلدان الإسلامية في إفريقيا ،و تشكل الإرساليات التنصيرية خطرا حقيقيا ،حيث أنها تملك هياكل ضخمة من المدارس و المؤسسات إلى جانب المحطات الإذاعية تذيع برامجها باللغة العربية، و في تقرير عن النظام التعليمي في نيجيريا تبين :"أن الكنائس و الهيئات التنصيرية تهيمن على قطاعات كبيرة من المدارس التابعة لهذا النظام ، و في المدارس التابعة للمنصرين، و الكنائس يجبر التلاميذ المسلمون على اعتناق المسيحية و إلا طردوا من المدرسة" ،و بذلك فإن النشاط التنصيري في غرب إفريقيا لا يقتصر على الوثنيين و حدهم بل يعمل في أواسط المسلمين أيضا،و يرتكز على نوعية خاصة بهم ،وقد أشارت مجلة فوكس fox[1] إلى ما يجري في نيجيريا على وجه الخصوص فقالت :هناك في نيجيريا مجموعة من أتباع عيسى مازالـوا مرتبطين بالعقيدة المسيحية رغم أنهم من الطلبة الذين يدرسون القرآن و يعتبرون من صفوف المسلمين و لكنهم يؤمنون كنبي تفوق منزلته سائر الأنبياء.[2]

و قد استهدفت الكنيسة التنصيرية بغرب إفريقيا المجموعة من الطلبة بقرية في شمال نيجيريا و عرفتهم بتفصيل عن ما ورد في إنجيل عيسى عليه السلام و كانت استجابتهم أكثر من رائعة بالنسبة لهم، كما يقول بانيا بابا (Banya Baba) سكرتير بعثة "كنيسة غرب إفريقيا التنصيرية" كان التجاوب أكثر وضوحا بين الماجوزاو في أقصى الشمال حيث

[1] -**فوكس:** مجلة تصدر عن المؤسسة الإسلامية في بريطانيا ,نقلا عن داود عمران ملاسا، المرجع السابق ،ص 189.

[2] -داود عمران ملاسا ، المرجع نفسه، ص189

استجابة الآلاف و تحولوا إلى دين المسيح رغم أنهم غير مسلمين في الأصل و لكنهم يعتبرون بمثابة المدخل لأمثالهم من أفراد المجتمع الإسلامي من شعب الهوسا[1]".[2]

و في عام 1844م استطاع اثنان من المنصرين أحدهما أبيض يدعى " **تونزنـــــد**" **(Tonznd)**و الآخر زنجي يدعى "**كروثر**"**(Krotr)** أن ينشئان فرعا لجمعية التنصيـــر الكنسي في أبيوكوتا Abeokouta بنيجيريا بين أفراد قبيلة "اليوروبا" التي ينتمي إليهـــا المنصر الزنجي ،و قد نجح كوثر كثيرا في نشر الدعوة النصرانية في نيجيريا لمعرفته اللغة المحلية ،فمنح عام 1854م منصب مطران نيجيريا إلى أن مات عام 1891م[3]، وحقق المنصران مكاسب ضخمة في شتى أرجاء نيجيريا، ومهدت لكل من البعثات الأخرى أن تمارس دعوتها في ارض جيدة الحرث و خصبة التربة و مهيئة لكل بذرة يمكن أن تؤتي حصادا بأقل جهد و مال .

أما في غانا فوقفت الإدارة البريطانية موقفا عدائيا ضد الممارسات الدينية و ألغت بعضها ، و حاولت قمع عدد من المذاهب مثل المذهب كاتاويري في إقليم كوتوكو و قبل ذلك كانت الحكومة الألمانية قد أرغمتهم بالتخلي عن ممارساتهم الدينية.[4]

و كذلك **غينيا** فرغم تصدي المجتمع الغيني لموجات التنصير ،إلا أن الجهل قد خيم عليهم بسبب فرض سياسة العزلة ،و التي لم تسمح بوجود دعوة منظمة للإسلام، في حين سمحت بوجود بعثات تنصيرية منظمة و مدعمة من الدول الاستعمارية القوية و التي تعمل على إعاقة سير الإسلام ، كما منحت حكومة غينيا نفسها قطعة أرض مساحتها 88 فدانا

---

[1] - **الهوسا:** ذات قرى في مناطق نيجيريا و بالضبط في شمال النيجر الجنوبية و هي من أكبر القرى في جنوب الصحراء أنظر: ياسين شبابيبي ، المرجع السابق ، ص 103.

[2]-Guy Nicolas .isiam au sud sahara etude comparée(isiam and south of the sahara) surce: cahers d'etudes africanes vol 18 cahier 71 (1978).p35.

[3] - أبو إسلام احمد عبد الله،مقالة تاريخ النصرانية www.ar.wikipedia.org

[4] - أدو بواهن : المرجع السابق ، ص 520.

لبناء أسقفية كونكري لتتشئ عليها معهدا كنسيا ، و بعد مجيء القس بلانك فقد حدد هدفه على مدى قرن من الزمن على ساحل غينيا ،و لم يغادر هذه المنطقة يوما ،حتى تمكنت البعثات و المراكز التنصيرية من تثبيت قواعدها بسواحل غينيا ،ثم انطلقت نحو العمق الإفريقي بعد أن كانت السيطرة كاملة للوجود الإسلامي في المنطقة.

أما السنغال فبعد دخول الإسلام إلى المنطقة، اتجه الشيوخ المسلمين بإقامة الزوايا لتعليم الدين و اللغة العربية،و لكن المستعمر قام بنفي و اعتقال هؤلاء المشايخ مثل الشيخ"محمد بامبا" و الشيخ" عبد الله الياس"و غيرهما[1] ،و خاصة بعد أن تمكنوا من تنصير حاكم السنغال "سانجور"[2]، وفي 22 يونيه 1857م اتخذ الحاكم العام الفرنسي قرار يمنع فيه فتح الكتاتيب أو المراكز الإسلامية التعليمية إلا بإذن من الحاكم الفرنسي و بشروط تعجيزية، وقد فرض عليهم تدريس اللغة الفرنسية لمدة ساعتين يوميا،فتناقص عددها في حين أخذت المدارس الفرنسية التنصيرية تزداد بالتدريج حتى صار عدد المؤسسات التعليمية المسيحية في السنغال كما يلي :42 مؤسسة تعليمية مسيحية بإقليم دكار و تحتوي على 552 قسما للتعليم الابتدائي ، و 17 مؤسسة تعليمية بإقليم "تباس" و 11 مؤسسة بإقليم فاتيك ، و 11 مؤسسة بإقليم كاولاخ و 9 مؤسسات بإقليم "سان لويس" و34 مؤسسة كانت بإقليم زيغنشور و بها 56 قسما تعليميا ، و4 مؤسسات بإقليم تامبا بها 33 قسما ، و من الملاحظ أن هذه الإرساليات كانت تستغل الظروف الصعبة التي يعيشها الأفارقة من الفقر و الجوع، و خاصة عندما تنفق الماشية و تجف الآبار ،و يهدد الموت الصغار و الكبار ،فتأتي لتقوم بانتقاء الأطفال ، و تلحقهم بأنظمتها ثم تخضعهم لعملية غسيل مخ منتظمة و متواصلة دون أن يحتك الطفل في تلك الفترة بأحد من خارج الإرسالية ،و بالتالي ينسى كل

[1] -جمال عبد الهادي ، المجتمع الإسلامي المعاصر لإفريقيا ،ط1،دار الوفاء ، د م، 1995،ص165.

[2] -**سانجور**: سان جورج أي القديس و هو رئيس الجمهورية السنغالية لكن أبويه و إخوته مسلمون ، أنظر: محمود شاكر التاريخ الإسلامي المعاصر ،المكتب الإسلامي ،ط1، بيروت، 1997 ،ص 33.

ما ترسخ في طفولته المبكرة من معلومات سطحية عن الدين مثلما حدث في قرية كوكي التي تبعد 250كلم عن عاصمة السنغال ،والتي لم يكن بها نصراني واحد ثم تسلل المنصرون إليها و بنو فيها مدرستهم التي تضم 2600 طفل ،و من أجل إغراء الآباء بإلحاق أبنائهم إلى المدارس التبشيرية و أدخلوا في برامجها تدريس اللغة العربية بجانب الفرنسية، وهذا بالإضافة إلى تدريس الحرف المهنية باستخدام أحدث الآلات و التجهيزات في حين تخلوا المدارس الإسلامية من مثل هذا بل تكاد تخلوا حتى من المقاعد.[1]

بينما فرنسا فقد سارت على خطة إبقاء الشعب في جهل تام و إن وجدت مدارس فهي على مستوى المرحلة الابتدائية وقلما تصل إلى المرحلة المتوسطة ، ولكنها تدعي أنها جاءت لأخذ أيدي الأفارقة نحو الحضارة و التقدم ،وإلى جانب هذا كانت المدارس التنصيرية تقوم بتعليم الأفارقة الذين يقبلون النصرانية دينا لهم،و تدعوهم إلى ترك الإسلام وتدعي أنه دين مستعمر جاء من الشمال الى الجنوب عن طريق العرب ،وانه دين السادة و قد فرض بالقوة والسيف ،فيجب محوه و إخراجه من أرض السنغال[2]،فكانت تفكر بعدم و جود مسلما ملتزما ،و إنما منحرفا يقبل على الحياة الأوروبية المادية بكل جوارحه، و تعاطي المسكرات و عنده فكرة سيئة عن الدين الإسلامي، و اختيار أمثال لهؤلاء لابد أن يخضع لرقابة شديدة ،أو أن يربى تربية على أيدي الإرساليات التنصيرية أو فرنسا بالذات.[3]

و كانت الإرساليات التنصيرية في السنغال تعقد عقودا مع عدد من الأسر الفقيرة ،تقدم بموجبها تلك البعثات التنصيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات ضئيلة من الأرز مثلا شهريا و على أن يكون له حق باختيار طفلا من أطفال الأسرة لتربيته على حسابها، و ينص العقد على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات و على دفع نفقات ابنها و نفقات تعليمه إذ هي خالفت شروط العقد كطلب استرداد ابنهم مثلا ،و تختار البعثة التنصيرية من أطفال تلك

[1] - جمال عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص165.

[2] - محمد أحمد لوح ،التعليم العالم و مناهجه(السنغال نموذجا) نيامي ،النيجر، د ط ، د ن ، د ت، ص ص09-13.

[3] - محمود شاكر، المرجع السابق،ص ص 23-24.

الأسرة صبيا دون الخامسة من عمره ثم ترسله إلى مدرسته التنصيرية ، و ينقطع الصبي عن أهله و ينشأ نشأة نصرانية ،ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالي،ثم يعاد إلى السنغال و تمنحه حقوق المواطن الفرنسي من حيث المستوى الاجتماعي و الوظائف.[1]

ثانيا: نتائج النشاط التبشيري

إن السؤل الذي يمكن طرحه هو:إلى أي حد أثمر النشاط التنصيري و ماذا كانت نتائجه؟ أو:هل نجحت البعثات التبشيرية في أداء مهمتها بالسودان الغربي؟

و قد أجاب عليه البعض من المؤرخين أمثال المؤرخ الدكتور :"الهادي الدالي" و أيضا الدكتور " عمار هلال": إن الحركة التبشيرية لم تنجح ذلك النجاح المنشود الذي انتظره أصحابها ، فبعد أن استغرقت العديد من القرون لم تتعدى نسبة المتمسحين 10% من سكان القارة بأكملها فهو نجاح ضئيل إذا قيس بمقياس الجهود التي بذلت[2]، و نستطيع تلخيص أسباب هذا الإخفاق فيما يلي:

1-إدراك أهل البلاد انقسام المبشرين أنفسهم إلى بروتستانت كاثوليكي[3]و العداء الذي يكنه كل طرف إلى الطرف الآخر حيث إن الاختلافات المذهلة و انقسام المبشرين ،انتقل الصراع من أوروبا إلى إفريقيا.

2-اختلاف لغة التبشير و التعليم باختلاف الدول المستعمرة.

---

[1] - عمر فروخ،مصطفى خالدي، التبشير و الاستعمار ،ط3، منشورات المكتبية العصرية، بيروت ،1964، ص ص09-13.

[2] - الهادي الدالي،عمار هلال ، دراسة في حركات التبشير و التنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء ، ط1،الدار اللبنانية ، القاهرة،2002،ص77.

[3] - هناك عدة اختلافات بين **الكاثوليك** و **الأرثودكس** منها تأكيد الكاثوليك أن عيسى ابن الله له طبيعتان وهي :تاسوتية و الأهونية ،أما الارثود كس فيرون أن للمسيح طبيعة واحدة ، أنظر أنسيم نورميجا ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دار المعارف ،ط3 ، القاهرة ،مصر ،1992، ص83.

3-اضطراب مناهج المبشرين و وسائلهم ، فريق يقف أمام الثقافة الإفريقية موقفا سلبيا و الأخر ايجابي و تناقض الرهبان البيض بين المثالية و الواقع.

4-إضافة إلى ذلك فان المسيحية حملت إلى الإفريقي على أنها دين الأسياد.

5- المسيحية التي يتعلمها توحي إليه أنه أحط منزلة من معلمه و أكثر خضوعا له و الأدب المسيحي بالحضارة الأوروبية و فرضت على الإفريقيين نزعة مادية معينة تتناقض مع سمو المسيحية و الروحانيته.[1]

و يرجع بعض المؤلفين الأوروبيين سبب إخفاق البعثات التبشيرية في ميدان التعليم إلى الأخطاء التي ارتكبت في هذا الميدان و ذلك لوجود برامج لا تتلاءم مع الواقع الإفريقي ،و عدم توفير الأساتذة الأكفاء تنقصهم الخبرة المهنية.

أما المدارس التنصيرية لم تلقي قبولا من الأطفال الأفارقة،وهذا ما أثر سلبا على الحركة التبشيرية في السنغال مثلا ، فخلفت أثار مست جميع الجوانب ،ففي الميدان الاقتصادي ترك الأفارقة و سائلهم التقليدية لكسب معيشتهم،ولم يستطيع النظام الجديد أن يعوضهم عنها شيء آخر، زيادة على أن هذا التعليم لا يهيئ الفرص التدريبية المهنية إلا لعدد محدود من أهل البلاد[2]، أما من الناحية الدينية فنجد أن الأفارقة الذين تمسحوا أدركوا أن الأوروبيون أنفسهم لا يطبقون مبادئ المسيحية عن المبشرين الذين لا يحترمون عادات و تقاليد البلاد الموروثة [3]،ومن الناحية الاجتماعية ترك التعليم أسوأ الأثر إذ قطع صلة الأفارقة بماضيهم و ازدادت مشاكلهم و تعقدت ،و اعتنى التعليم التبشيري بالرجل و ترك المرأة على حالها ، الشيء الذي خلق هواة كبيرة بينها و بين الرجل ، حيث قل إقبال

[1] - قداح نعيم ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1977، ص198.

[2] - الهادي الدالي، المرجع السابق، ص79.

[3] - قداح نعيم ، المرجع نفسه ، ص193.

المتعلمين من الرجال على الزواج بالنساء الغير المتعلمات و خاصة منهم المتنصرين ، أما عن أسباب هذا الفشل فيجب البحث عنها عند السود من جهة و عند البيض من جهة أخرى.

فالملوك السود كانوا يهدفون إلى تسهيل العلاقات التجارية و تأمين نجاح المفاوضات لحصولهم على البنادق و المدافع و استماتة القوى الخفية المجهولة من الاوروبين، فهم لم يدركوا الدين المسيحي و لم يرو فيه سوى رتبة جديدة ، وفي الكهنة سوى سحرة مهرة ،و إذا ما تعمقوا في الدين كما فعل **نوكسونو**" **ملك اردار**" حالتهم مستلزمات المسيحية كواجب الاكتفاء بامرأة واحدة و الزهد في المجتمع الزنجي ،و قد قاوما في نفوس الخوف من الموت و الأمل في الحصول على الحياة الأبدية بالسير على خطى المسيح.[1]

فالحملات التبشيرية عجزت عن قهر الإسلام في تشاد و السنغال رغم أن الاحتلال الفرنسي دام أكثر من 70سنة بهما إلا أن نسبة الإسلام تصل إلى 90% و بذلك ظل الإسلام هو الحصن المنيع الذي يحمي تلك الشعوب من الاندماج الكامل في فرنسا، و لم يفعل الفرنسيون في غينيا ومالي مثلما فعلوا في تشاد و السنغال، ذلك أنهم كانوا مطمئنين إلى أن المرشحين لحكم البلد من الماركسيين الذين لا يختلفون كثيرا عن الحكام النصارى أنفسهم، و الدليل على ذلك أن غينيا و مالي تعترف بدولة إسرائيل رغم أنهما تحكمان برئيسين مسلمين.[2]

و في الأخير يمكننا القول بان رغم المحاولات التي قامت بها الحركة التبشيرية في المنطقة إلا أن اللغة العربية و الإسلام ظلا منتشرا ، رغم أنه بعد دخول الاستعمار الفرنسي

[1] - الهادي الدالي، عمار هلال، المرجع السابق، ص79.

[2] - هذه المعلومات أخذها جمال عبد الهادي نصا عن كتاب : الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، تأليف عبد التل، ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، ص 181.

و الانجليزي عمل على فرض لغته[1] محل اللغة العربية حيث اتفق أغلب مسلمي المنطقة عدم ترجمة القرآن الكريم إلى لغة أخرى من أجل الحفاظ على اللسان العربي[2]، كما أن العديد من المصادر لا تشير إلى عدد المسلمين و نسبهم ، و إن فعلت خفضت نسبتهم إلى أدنى الحدود مقابل رفع نسبة المسحيين و عبدت الأوثان ،و يقول البعض إن القارة الإفريقية عموما تعتبر قارة إسلامية لارتفاع معدل المسلمين بها.[3]

وبذلك يعتبر الإسلام من بين الديانات الكبرى و الذي حقق انتشارا واسعا أكثر من أي ديانة أخرى، و هذا التوسع الديني وسع كذلك اللغة العربية ، و هكذا اتسعت باحة الإسلام في إفريقيا و قد أكد على ذلك أحد المؤرخين النيجيريين في قوله"أنه أينما التقى الإسلام و المسيحية وجها لوجه سجل الأول عشرة ارتدادات مقابل و احد يعتنق المسيحية، وخير مثال على ذلك كل ما يقع اليوم في إفريقيا و الإسلام يتمتع بأفضل مركز ليصبح بالفعل دين القارة الإفريقية".[4]

أما الرأي الثاني : فقد أجاب عليه بعض المسلمين في قولهم : لقد توقف الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ، و كان المسلمين عشرة أضعاف المسحيين و اليوم أصبح المسيحيون أضعاف المسلمين ...،و المعركة تدور حول 80 % من سكان إفريقيا و هم وثنيون ، و إذا سارت الأمور على هذا المنوال سنجد أنفسنا في إفريقيا 150 مليون مسلم في مواجهة 300 مليون غير مسلم على الأقل ، غير أن النشاط التبشيري التنصيري في إفريقيا

---

[1] - **اللغة الإفريقية:** تحتل القارة الإفريقية المراتب الأولى في العالم من حيث عدد اللغات وبما لا ينافسها في ذلك سوى سكان أمريكا و تقدر لغاتها ب150 لغة.أنظر:محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا،المجلس الوطني للثقافة و الفنون الكويت، 1990، ص114.

[2] - عبد الفتاح مقلد بكر ،سلطنة اليورتو الإسلامية في ظهور محمد الأمين الكاني، مذكرة ماجستير ، جامعة القاهرة 1975، ص212.

[3] - جمال عبد الهادي،إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا، ط3، دار الوفاء ،د م، 1991، ص ص 123-131.

[4] - موريس كروزية، تاريخ الحضارات العام (العهد المعاصر) ، تر: يوسف أسعد داغر ، فريد داغر ، ط1، عويدات للنشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1970، ص 674.

لا يقتصر على الوثنيين و حدهم بل يعمل في أوساط المسلمين أيضا [1] ، كما و قد أصبحت للكنائس الإفريقية شعبية عالمية في غرب إفريقيا ،فرغم مرور السنين مازالت عاداتهم المسيحية قائمة ولها أهمية كبيرة لدى الأفارقة السود ،و يؤكد "الدكتور أبريل Apprill" ...إن الدين المسيحي يأخذ نسبة 50% في إفريقيا السوداء ،أي مثله مثل الدين الإسلامي..."[2]و بذلك فإن التبشير نجح في تنصير البعض ،وبجدر بنا أن نتعرف على الحلول للحد منه بالخطوات التالية:

1-علينا أن ندرك تماما أن هؤلاء لا يبشرون بدينهم و عقائدهم أو يعملون على تحويل المسلم عن الإسلام، إلا في حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالإسلام سلوكا و تطبيقا ،و من هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملا يعمل و يهتم بإنشاء المدارس و المستوصفات و الملاجئ و رعاية الأيتام و المسنين و يصاحب ذلك توعية إسلامية و تبشيرية بالإسلام.

2-لابد أن نواجه التبشير من خلال مخطط دقيق مبني على الحكمة و البصرية و التوزيع ليكن هناك تكامل.

3-يصاحب ذلك كله هجوم و نقد الأفكار الغربية التبشيرية لتنتقل من مرحلة المواجهة (الدفاع) إلى مرحلة الهجوم و النقد.

4-إن ما يقوم به التبشير النصراني في إفريقيا و المجتمعات الإسلامية المختلفة من بناء المستشفيات الخيرية و المدارس و غيرها مما يقدم للإنسان، هو العمل الخيري بالدرجة الأولى، لأن الإنسان في مثل هذه المجتمعات في حاجة إلى من يقدم له العون أو المساعدة

[1] - كرم شلبي ، المرجع السابق ،ص 31.

[2] – Elisabeth apprill. Jean-Claude barier .les forces religieuses en Afrique noire .un état des-lieux annalesde –géographie-19963-vol-105-n°588-pp200

بالعلم و الخبز و العلاج ،فإذا أراد المسلمون المواجهة لهذه العملية فعليهم أن يعملوا مثل ما يعمل المبشرون أو يزيدون عليهم.

5-يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانيات هائلة: مادية و بشرية فمواجهتنا للتبشير يجب أن تتوفر لها إمكانيات مادية و طاقة بشرية.[1]

لقد عملت البعثات التنصيرية الأوربية طوال سنوات و جودها في القارة الإفريقية على تنصير الأفارقة ،إذ أنها نجحت في إدخال الملايين من الأفارقة و إخضاعهم لخدمة الرأسمالية و الامبريالية الأوروبية ، و قد حاولت البعثات على نشر الثقافة الغربية و سموها و من خلال الثقافة الأوروبية المطروحة إلا أن الأوربيين المنصرين لم يندمجوا في المجتمعات الإفريقية بل مارسوا ضدهم التفرقة العنصرية التي و صلت إلى حد الفصل بين السود و البيض في جنوب القارة ، و هذا ماهو إلا دليل قوي على أن المبشرين بالنصرانية لا يرون النصارى من السود لا يساوونهم في نفس المنزلة.[2]

[1] - علي بن نايف الشحوذ،المرجع السابق ،ص 571.

[2] - عيد العزيز الكحلوت ،المرجع السابق ، ص 108.

النتائج الأخيرة :

نستخلص أن القارة الإفريقية عموما و السودان الغربي خوصا يتدفق مجتمعه بالحرية في الاعتقاد و الدين، في حين شهد العالم في القرون الوسطى مذابح المسحيين، و بذلك فإن معتنقين المسيحية و الإسلام و اليهودية و المعبودات الطبيعية و الوثنية يتعايشون و بهدوء و مساواة دون أي تمييز في القرية الواحدة أو في القبيلة الواحدة، فمثلا عائلة الرئيس السنغالي السابق ليوبولد سيدار سنفور نعيش بين المسيحية و الإسلام ،و القبيلة التي ينتمي إليها رئيس ساحل العاج وثنية الأصل لكنه ولد في قرية بها المسلمين في حين اعتنق هو المسيحية ، وبذلك فإن التسامح الديني هو الصفة المتواجدة بالمنطقة رغم ما شهدت بعض الصراعات في نيجيريا بين معتنقي الإسلام و المسيحية.

و على أي حال فانه لا يوجد في إفريقيا الغربية بلد يعتنق جميع سكانه دينا واحدا في حين تتشكل إحدى الديانتين ،الإسلام و المسيحية ،النسبة الساحقة لبعض البلدان الإفريقية الغربية و خاصة نيجيريا ، و إن المسيحية تشكل الأكثرية في بلدان إفريقيا الجنوبية و الوسطى و باستثناء بلدان إفريقيا الشمالية.[1]

ونتيجة انتشار المدارس التنصيرية فقد أدى ذلك إلى تكسح اللغة العربية ، وأصبح عدد المتعلمين باللغة العربية هناك ضعف عدد المتعلمين بالفرنسية ، و أصبحت اللغة العربية تعتبر اللغة الثانية في حين تعتبر اللغة الفرنسية و الانجليزية اللغة الأولى كما أنه على الرغم من أن الإسلام و المسلمين الأقلية الساحقة بالسنغال و العديد من الدول الغربية لإفريقيا فإن حقوقهم السياسية مهدورة ،حيث منعتهم الحكومة من تكوين حزب إسلامي في حين سمحت بتكوين حزب شيوعي[2] ماركسي يحارب الإسلام.[1]

---

[1] - أمين أسبير ، المرجع السابق،ص،172.

[2] - قد اتخذا **التبشير** في إفريقيا الغربية أسلوبين:استئجار الحكام المحليين غير المسلمين للقيام بالمهمة ،و الأسلوب الثاني:هو إحداث انقلابات الشيوعية لكي تقوم بإبادة الإسلام ويقوم الشيوعيين بهذه المهمة المحدودة.

ومن بين نجاحات الحركة التبشيرية في منطقة أكرة و هي عاصمة غانا ،فسجلت إحصائيات أن أكثر من 62%من المسحيين البروسانت و الكاثوليك في أكرة مقابل 17 من المسلمين ،يعتنق الباقون ديانات افريقية أخرى أو الذين لا يعتنقون الدين.[2]

وبعد الحديث عن نتائج الحركة التبشيرية و عرضنا لموقف النجاح أو الفشل هذه البعثات التنصيرية يجدر بنا الحديث عن رد فعل الأفارقة و كذلك إبراز دور الطرق الصوفية في التصدي للبعثات التنصيرية بغرب إفريقيا التي كان الفضل الكبير في نشر الدين الإسلامي بين الوثنيين و الدفاع عنه أمام التيار الأوروبي الجارف و خاصة في القرن 19م.

لم يكن لمعظم الطرق الصوفية في القارة تنظيما مركزي معين ،بل كانت الطرق تضم مدارس سرية تعمل أساسا لسد الفراغ في القارة ، بعد القضاء على بعض الأنظمة السياسية التي كانت تتولى الحكم مثل الطريقة القادرية و التجانية[3]، و بذلك فإن هذه الطرق لعبت دورا مهما في وقت كانت تعاني فيه الدول الإسلامية من ضربات الأمم المسيحية[4] و تلخص عن دورها قيام حركة الجهاد الكبرى في بلاد التكرور و غيرها من المناطق الأخرى ، التي واجهت فيها جحافل الأوروبيين الذين انطلقوا في موجات متصلة بهدف استعمار القارة و نشر الحضارة الأوروبية لولا وقوفها ضدهم لتغيرت صورة القارة ولا أصبح الدين الإسلامي منحصرا فقط في بعض الجيوب الصغيرة منها ،لكن هذا الدور الصوفي و قف

---

[1] -محمد أحمد لوح ،المرجع السابق، ص35.

[2] - مسعود يونو ، شاكر القعام و آخرون ، المرجع السابق، ص118.

[3] - **القادرية** التي تزعمها عبد القادر الجيلاني ، ولد سنة 1087 م وتوفي سنة 1166م،أما التجانية التي تزعمها احمد المختار بن سالم التيجاني الذي ولد سنة 1166م و توفي سنة 1815 م أنظر : محمد فتح الله الزيادي ، مظاهر انتشار الإسلام و موقف بعض المستشرقين منه ، ط1 ، المنشأة العامة للنشر و التوزيع ، طرابلس ،ليبيا ،1983، ص 221.

[4] - **المسيحية** منقسمة إلى عدة فرق من بينها :الملكية التي تعتبر من أعظم الفرق المسيحية و النسطورية واليعقوبية و هي منتشرة في مصر ،أنظر :أبي البقاء صالح الحسن الحنفي، الرد على أهل النصارى، ط1،الدوحة ،قطر، 1988،ص79.

صامدا أمام رجال التبشير، و تاريخ إفريقيا حافل بالبطولات الإسلامية التي عرضت من أجل الدفاع على هذا الدين الإسلامي الحنيف.[1]

حيث شهد السودان الغربي قيام العديد من الإمبراطوريات الإسلامية الزنجية مثل : إمبراطورية الفولاني (1804–1903)م بقيادة الشيخ عثمان بن فودي و اشتهر باسم والده فوديو أو فودي (Fodi) ،و كان ينتمي إلى الطريقة القادرية ،و بفضل جهاده الذي أحيا السنة و أخمد البدعة و جاهد في سبيل الله حق الجهاد ،وظل خلفائه يحكمون و يطبقون شريعة الإسلام في تلك الإمبراطورية حتى سقوطها في النهاية على أيدي القوات البريطانية الذين بادروا بنشر المسيحية ، فقد عجز البريطانيون عن تفسير النظم الإسلامية التي ترسخت في نفوس الناس ،و مارسها الشعب طوال قرن انقضى و لم يجدوا بديلا أفضل منها[2]، كما شهد القرن 19م قيام إمبراطورية اسلامية أخرى ، حيث استطاع الحاج عمر تال (1854–1893) بنائها قبل وفاة عثمان دان فوديو، امتدت في أعالي السنغال و النيجر و التكرور ، حيث أنه درس و تعلم تعليما دينيا ،وقد نجح في نشر دعوته و محاربة الوثنيين ، حتى أصيب فيدهر الحاكم الفرنسي للسنغال بالدهشة من تأثير الحاج عمر على مسلمي الأفارقة لحفظة القرآن الكريم،و إلمامه التام باللغة العربية[3]، بالإضافة إلـــــى إمبراطورية الماندیجو أو الماندي في أعالي النيجر (1870–1893) م، حيث كون ساموراي توري إمبراطورية إسلامية ، و لعب دورا كبيرا في غرب إفريقيا و اصطدم بالمنصرين الفرنسيين و دام هذا الصراع أكثر من عشرين عاما ، و نحج في بث الفزع و الرعب في قلوب الفرنسيين حتى إن الكثير من الكتاب الفرنسيين وصفوه بأنه بونابرت السودان .

[1] - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر 2004، ص ص 222–226.

[2] - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، المسلمون و الاستعمار الأوروبي لافريقيا ،المرجع السابق ،ص ص 31-40.

[3] - الهام محمد علي ذهبي ، جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ،دار المريخ للنشر و التوزيع ,ط1، د م، 1988م ص ص90–95.

و قد كون إمبراطورية و اتخذا بيساندوجو Bissandougou عاصمة له، و يمكن تقسيم دولة ساموراي إلى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى اتسمت ببناء المجتمع الجديد و دولة جديدة و ذلك قبل عام 1884 م، و المرحلة الثانية : امتد ت من 1885 إلى 1888 و اتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية و إعلان الساموري الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين و الأفارقة جميعا ،حتى أنه فتح العديد من المدارس لتحفيظ القرآن و التوسع في إنشاء المساجد ، أما المرحلة الثالثة :تبدأ من 1889–1898 و قد اتسمت بالصعبة العسكرية ، و اصطدم الساموراي بالفرنسيين طوال هذه المرحلة، و الجدير بالذكر أننا عند دراستنا لساموراي نلاحظ إن لم يكن له برنامج محدد فيما يتعلق بحركة الجهاد التي أعلنها، فكل ما نلاحظه هـــو حماسه الشديد لنشر و بناء المساجد و لذلك اختلف حركته عن الحركات السابقة لأنه لـــم يتبع أي طريقة صوفية و قد غلب على هؤلاء جميعا الحماس الديني و الرغبة الصادقة في نشر الإسلام و الدفاع عنه في غرب إفريقيا[1] .

وقد استجاب الأفارقة لهذه الهجمات بطرق عديدة، ففي المحل الأول نجد أولئك الذين ظلوا على ديانتهم التقليدية ناهضوا الحكم الاستعماري ،و تحدوا إدانة المبشرين لممارستهم التقليدية من خلال الاستمرار بكل بساطة في التمسك بالمعتقدات القديمة و ممارسة طقوسها الرئيسية اما جهرا أو سرا ،أما الذين تحولوا إلى اعتناق المسيحية و تأثرت معتقداتهم و اتجاهاتهم و موقفهم تأثرا قويا بالدين الجديد فقد عبرت عن مقاومتهم بأن اصطحبوا بعض العقائد التقليدية معهم لدى تحولهم إلى المسيحية و امتزاج الأفكار بين الديانات، و قد ثار المسيحيون الأفارقة خاصة في المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا على الكنائس و فرض الثقافة و الطقوس الغربية ،وأدي ذلك إلى انفصالهم عنها و تكوين كنائس خاصة بهم

[1] - الهام محمد علي ذهبي، المرجع السابق ، ص ص 55–60.

كالكنائس المسيحية التي تتبع طقوسا و مذاهب إفريقية متميزة حيث أنشأت أول كنيسة افريقية بنيجيريا في أفريل 1888م[1].

و أكد الدكتور عبد الحليم عويس أنه يجب على الأفارقة العرب المسلمين أن تساعد التاريخ على السير بإفريقيا إلى شاطئ المستقبل الإسلامي فالتاريخ البشري لا يتحرك آليا أو عفويا، و هو لا يسير في اتجاه الأصلح ،إذ يساعده الصالحون في الأرض، وإنني أقدم للقيام بهذا الواجب المقترحات الآتية:

1-توجيه إذاعة لإفريقيا في كل بلد عربي مسلم تتكلم باللغة الشائعة مع اقتراب ما أمكن من العربية، مع ضرورة إيصالها واضحة لأعماق إفريقيا.

2-إقامة سفارات و علاقات ثقافية و اقتصادية طيبة مع البلدان الإفريقية كلها ، و لو كان ذلك على حساب بعض التجاوزات على الآراء السياسية المرحلية.

3-تبليغ صوت المسلمين الأفارقة إلى العالم، و تبنى قضاياهم و حقوقهم الإنسانية في تعلم دينهم و لغتهم العربية، و الوقوف ضد الدول التي تحرمهم من هذه الحقوق فمثلا حكومة إثيوبيا تحرمهم من أقامة المدارس الإسلامية و من تعليم الدين الإسلامي ، و يعتبر ذلك عملا غير مشروع.

4-رصد المعونة الاقتصادية لمسلمي إفريقيا و ذلك لمساعدتهم لإقامة مدارس و مساجد و مستشفيات و دور لرعاية المعوزين و العاجزين و اليتامى و الأرامل حتى يتمكن من الاستغناء عن مساعدات التبشير المسيحي.

5-استغلال الظروف المتاحة أحسن استغلال لترطيب أركان الإسلام و العربية في بعض البلدان الإفريقية التي تقيم علاقات قوية كأوغندا و الغابون و السنغال و التشاد و نيجيريا...وغيرها.

[1] - أدو بواهن ، المرجع السابق ، ص ص 520-525.

6-العمل على ازالت الفوارق بين المذاهب الإسلامية المعترف بها ، و جلاء و حدة الدين الإسلامي من أصوله ، ففي بعض البلدان الإفريقية تنتشر موجة التعصب المذهبي لدرجة أن بعض الطوائف تخصص مساجد لها، فتكتب على المساجد مثلا مسجد الشافعية أو مسجد الحنفية ...وغيرها .

7-نشر الإسلام الصحيح و الثقافة الإسلامية الأصلية بالكتب و الأساتذة و النشرات و الدوريات بلغات افريقية، فالمسلمون الأفارقة في أغلبهم جهلة لا يعرفون أبجديات الإسلام، بل بعضهم يخلط بين الإسلام و المسيحية حتى في الاسم فبعضهم يسمون هنري محمد أو جميس علي، بل أن بعض الأطفال المسلمون و الشيوخ لا يعرفون معنى الإسلام و لا يعرفون أنهم مسلمون ،و بعض المدارس الإفريقية الإسلامية تخلوا من مدرس واحد للإسلام و العربية[1].

[1] - عبد الحليم عويس ، المسلمون في معركة البقاء ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، د ت ، ص ص 55-57.

خلاصة الفصل:

وصفوة القول أن النصف الغربي من القارة الإفريقية آمنا مطمئنا لا تصل إليه أيدي الأوروبيين إلى غاية القرن15م، حيث شهدت المنطقة مرحلة جديدة تمثلت في مرحلة الكشوفات الجغرافية التي استمد منها المبشرون طريقهم التنصيري ، ثم تلتها المرحلة الاستعمارية بحلول القرن19م التي كانت مدعمة للحركة التبشيرية و التنصيرية بالسودان الغربي، أما عن نتائجها فقد تضاربت آراء المؤرخين حول نجاحها أو فشلها فهناك من يقول أنها فشلت مقارنة بالجهود المبذولة، و هناك الرأي المخالف الذي يؤكد بنجاحها و ذلك بارتفاع نسبة التنصير بها.